صلحاء ومتصوفة زمن الولي الصالح
محمد بن عمر الهواري (ت 843هـ/1442م)

أ.د. بلبشير عمر
جامعة معسكر

الحديث عن مرجع من مراجع الصوفية وفقيه في وزن الولي الصالح محمد بن عمر الهواري يستدعي الإشارة إلى أحداث الزمن وأحواله في المغرب الأوسط خلال (القرن التاسع الهجري وبداية القرن العاشر الهجري) (15-16م)، لذا سأشير بإيجاز غير مخل بالظاهرة السيّاسية والاجتماعية ولا الفكرية بالعصر والمكان الذي عاش فيه هذا الشيخ.

إن تراجم العظماء ماهي إلا خيوط ضمن أنسجة التاريخ الواسعة؛ ذلك التاريخ الذي لابد من أن تخامر روحه روحهم، وتتوغل إلى أعمق ساحات وعيهم، وتكمن في خواطرهم، وتستتر في ضمائرهم، وتمثل من خلال أراءهم وأفكارهم وتعاليمهم.

وبهذا الاعتبار يصبح لزاما علينا ونحن نسعى جهد الإمكان للتعرف على شخصية الشيخ الهواري ومكونات فكره وإسهامه في الحياة الصوفية أن نتناول بالدراسة عصره ليكون إطارا يمكننا من معرفة الظروف التي أحاطت به والأوساط التي احتضنته، كما أنه من المفيد لدراستنا أن نقف عند عدد من الصلحاء والمتصوفة زمن هذا الولي الصالح، التي كان لها تأثير على المجتمع وإسهام في هذا العصر.

فأحداث الزمن وأحوالـــه تلقي -دون شك- أضواء على الجوانب السياسية، والاجتماعية، والفكرية، ليعرف القارئ إلى أي حد تأثر الونشريسي بعصره وأثر فيه.

محمد بن عمر الهواري وعصره:

تعتبر المعلومات التاريخية التي قدمها لنا أصحاب كتب المناقب والتراجم عن شخصية محمد بن عمر الهواري هزيلة، لا تكاد تسعفنا في الوصول إلى معرفة دقيقة حول نشأته ورحلاته ومنهجه في التدريس وفي تربيته لمريديه، ومساهمته في الحياة الاجتماعية والثقافية والروحية.

أما عن عصره فقد شهد صراع إقليمي بين كل من (المرينيين والزيانيين والحفصيين)، من جهة، وتسابق الأسر الحاكمة إلى كرسي السلطة من جهة أخرى، فاغتنم الإسبان والبرتغاليون، فرصة تطاحن الدول المغربية، فيما بينها فأخذوا يدعمون هذا الأمير ضد الأخر، ويغذون الفتنة والتطاحن بالمساعدات المادية والمعنوية، ثم صاروا يتدخلون في شؤونهم الداخلية، فضعفت قوتهم وفترت مقاومتهم للأجنبي، وكان هذا الأخير مدفوعاً بتعصب ديني ورغبة في الهيمنة والتوسع وحب السيطرة والاستغلال.

وقد صاحب هذه الفترة ازدياد سخط السكـــان لحكم الزيانيين، لا سيما من بعض القبائـل المجاورة وبخاصـــةً عرب «بنو عامر» و«سُوَيد» وغيرهم، وكانت هذه القبائل كلما أحست بضعف الدولة إلا وبالغت في تمردها وتحديها ومطالبها، ولجأ بعض العصاة من القبائل العنيدة إلى التجبّر والتعدي على الأهل، فانتشرت اللصوصية في المدن والأرياف والصحراء، وأخذت العصابات تقطع الطرق وتتصدى بالعدوان على القوافل الآتية من بلاد السودان أو غيرها، أو الذاهبة إليها، إلى درجة أن «ابن قنفذ» اعتبر نجاته من «تلمسان» إلى «قسنطينة» في أواخر القرن الثامن، من خوارق العادات، كما أن «عبد الباسط بن خليل» فوجئ بالسراق يوم حلّ «بتلمسان» عام 868هـ/1463م، وتحدث عن اللصوصية وقطع الطرق للتجار المتنقّلين من «فاس» إلى «تلمسان» (870هـ/1465م).

وعلاوة على هذا الوضع، ظهر في الأفق مشكل آخر وهو كارثة الأندلس وسقوط غرناطة 897هـ/1492م، فلجأ إلى المغرب الأوسط عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين، وبدأت هذه الهجرة بشكل جماعي مند سقوط مدينة «اشبيلية» (633هـ/1235م)، غير أن هذه الحركة بلغت

ذروتها، على إثر قرارات الطرد التي أصدرها الملك الإسباني «فيلب الثالث» سنة (1018هـ/1609م).

وأثناء ذلك ظهر الخطر النصاري بقوة، فبدأ الإسبان يخططون لاحتلال المدن الساحلية للمغرب الأوسط، فاستولوا على المرسى الكبير سنة 911هـ/1505م بمباركة من الكنيسة المسيحية ودعمها، ثم احتلوا مدينة وهران سنة 915هـ/1509م، كما استولوا على مدينة بجاية سنة 916هـ/1510م ونهبوها ونقلوا جميع ما فيها من تحف ونفائس إلى إسبانية في ثلاثين مركباً، هذا بالإضافة إلى الوحشية في أسلوب القتل والتخريب الذي استعمله الجيش الإسباني ضد المسلمين المغاربة وممتلكاتهم.

كان لسقوط هذه المدن أثر أليم في نفوس الحريصين على هذه الأمة من الأعيان والعلماء وانطلقت ألسنة الشعراء وأقلام العلماء ترسل الصيحات المدوية لتعبئ المشاعر وتحفز الهمم وتدعو إلى الجهاد.

وكان من أبرزهم: "الشيخ عبد الرحمان الثعالبي"، الذي بعث برسالة في الجهاد إلى أحد طلابه في نواحي بجاية، وهو "أبو عبد الله محمد بن أحمد" يدعوه فيها لإقناع سكان المنطقة بوجوب الاستعداد للجهاد لمواجهة الأعداء، ومما جاء في نصها: "أكتب رحمك الله لإخواننا ببجاية وحذرهم ليتيقنوا ويعملوا ما أشرنا إليهم... ولو اطلعتم على ما اطلعت عليه من التحريض لما وسعكم أن تشغلوا بشيء من أمور مهامكم بعد الصلاة إلا بآلة الجهاد".[1]

كما بعث برسائل أخرى إلى الفقهاء وأهل العلم يدعوهم فيها إلى تعبئة العامة بوجوب الاستعداد للجهاد لمواجهة الأعداء.

يبدو أن عدم الحيطة والحذر من التحرش الأوروبي تجاه البلاد، والتي لم تحض بالعناية من جانب أهل السلطتين السياسية والعلمية، وعامة الناس جعلت المنطقة عرضة للهجمة الصليبية الجديدة التي بدأ فصولها منذ أواخر (القرن التاسع الهجري) 15م واستمرت طول القرن (القرن العاشر الهجري) 16م، فكان العقد الأخير من القرن التاسع الهجري (897هـ) ونظيرُه من القرن

الخامس عشر للميلاد (1492م) عقدَ مفارقةٍ كبرى إذ أنّه كان شاهدا على لحظة تاريخية فاصلة بين انهيار فاجع للغرب الإسلامي وبزوغ تباشير عصر جديد للغرب الأوروبي.

أما عن الحالة الفكرية فيصعب على الباحث رصد المظاهر الثقافية في البيئة التي عاش فيها "الشيخ الهواري"، إذ يستدعى ذلك من الدارس التعرف على العوامل التي أثرت في الحركة العلمية لهذه الفترة، إذ تعتبر هذه الحقبة استمرارا لسابقتها وممهدة لما يأتي بعدها.

إن البعد التاريخي المتمثل في الغزو الأجنبي لكثير من مناطق المغرب الأوسط، بالإضافة إلى تزايد الهجرات البشرية من الأندلس، لعب دورا حاسما في تشكيل نوع من المشترك الثقافي والحضاري والمعيشي بين تلك المناطق، وهو ما كان له أثره البالغ على مظاهر الحياة الفكرية في المنطقة، بشكل متنوعة ومختلفة يحوي المشترك العام والخصوصي.

ولا يبدو أنه من السهل تحييد العوامل المؤثرة أو المتحكمة في الحياة الثقافية باعتبار المنطقة مرت بمراحل مختلفة نتيجة تعرضها لاضطرابات سياسية وأزمات اقتصادية أدت بها إلى حالة من الانحطاط، كان لها تأثير بالغ على الحياة العلمية والثقافية عموماً، مما يجعلنا أمام عوامل مرحلية غير ثابتة، ومع هذه الصعوبة التي يبديها الباحثين المعاصرين في الوصول إلى هذه العوامل المؤثر في الحياة الفكرية، هناك عوامل ثابتة مرتبطة بالفاعلين الأساسيين في هذه العملية وهم الحكام وأهل العلم.

اشتهر عن سلاطين الدولة الزيانية – في ظل المنافسة الشديدة بين حكام المنطقة– عنايتهم بأهل العلم والمعرفة، وإنفاقهم المستمر على إقامة المدارس والمكتبات وتحبيس الأوقاف عليها لسد نفقاتها، واستقطاب أشهر العلماء للتدريس في حواضرها خاصة من الأندلس[2]، وإجراء الأرزاق عليهم، ومنحوا الطلبة ما يساعدهم على تحمل أعباء دراستهم، كلُّ ذلك كان له أثر مهمٌّ في بعث الحركة الفكرية وميول الكثير من الطلبة إلى طلب العلوم المختلفة من عقلية ونقلية وإتقانها، فقد كانت تلمسان في عهد الزيانيين مركزًا ثقافيًّا هامًّا، وبلد إشعاع علمي يضاهي أهم مراكز المغرب الثقافية.

وكان لعدد من السلاطين مشاركة كريمة في العلم، فكان منهم الفقيه والشاعر والأديب، وهذا السلطان أبو العباسي أحمد الزياني «المعتصم بالله» الملقب "بالعاقل" (ت 866هـ/1461م) كان يجالس العلماء والصلحاء، ويشجعهم على التصنيف ويواظب على حضور مجالسهم العلمية، ويكثر من زيارتهم، ويمشي وراء جنائزهم، كما كانت لـــه عنايـة خاصـــة بالعالم الصوفي "أبي علي الحسن بن مخلوف الراشدي الشهير بأبركان" (ت 817هـ/1453م) الذي بنا مدرسة بزاويته.[3]

ولئن كثرة أسماء المضطهدين من رجال الفكر في هذه الدولة فإن معظم ذلك يرجع إلى أسباب سياسية، فقد كان الكتاب وكثير من الوزراء من أهل الأدب والعلم يشاركون في ذلك من طرف، ويخوضون في الأهواء مع الخائضين، فتنالهم النكبة، أو تلحقهم الغربة، أو يفرون إن أمنوا المسلك هاربين.

أما عن معالم الحياة الروحية في هذا العصر لعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا بأن أهم ما يطبع هذا العصر هو اتجاهه الروحي في أغلب المستويات والمواقف، فهو بحق عصر سيادة التّصوّف في المغرب الأوسط وانتشاره على نطاق واسع، والجدير بالذكر أن الميل إلى التّصوّف وإيثار الجانب الروحي لم يكن مقتصرا على العامة فقط، بل إن بعض الحكام أنفسهم كانوا يطمحون إلى أن يكونوا مثالا للورع والتقوى والصلاح.[4]

خاصة وأن كبار المتصوفة كانت لهم آثار طيبة وأدخلوا طموحات نبيلة إلى المجتمع، زيادة على أن الزوايا[5] فيما بعد استهوت الناس[6]، والتي كانت مقر العديد من أولياء الله الذين قدمت لهم السلطة في مراحل عدّة[7] امتيازات عديدة كإقرارها لحرمة الزوايا واحترامها لها رغم ما يشكله ذلك من انتقاص لسلطة الدولة وسيادتها[8]، ومن هنا بدأ شعور المجتمع بالأمن في جانب الأولياء.

وقد ألف المجتمع ومصطلحات من رحم الحياة الروحية كـــ: الزاهد والصوفي والصالح والولي والمرابط، وهذه النعوت أصبح لكل منها مدلولها في عصر الإمام الهواري. خاصة وأن الفكر أخذ يتجه نحو الانكماش متخليا تدريجيا عن طابعه الموسوعي في أخذ العلوم.

فمنذ القرن 8هـ ظهرة الحاجة إلى ضبط المصطلحات الدينية، وخير من ساهم في هذا الجهد العلمي ما قام به العلامة ابن خلدون (ت731هـ/808م)، حينما ضبط النعوت والمصطلحات الدينية ووظفها للدلالة بها على حالة معينة من التعبد مستخدما مصطلحات الزاهد والصوفي والصالح والولي والمرابط في مواضعها طبقا للحال[9]، مما يعني أن استخدام المصطلح لم يعد في القرن (8هـ – 14م) من قبيل التنوع، بل مرتبط بتطورات اجتماعية واقتصادية وثقافية وفكرية سادت مجتمع المغرب الأوسط برمته. وبالتالي فإن معنى "الزاهد" أصبح يدل على كل من أخرج الدنيا من قبله واحتقرها واستصغارها وادخل هم الآخرة[10] في حين أصبح معنى "الصوفي" يطلق على كل من نهج طريقة التصوف السني الفلسفي أو التصوف الفلسفي الصرف[11] وأقترن مفهوم "الصلحاء" بكل متعبد زاهد جمع بين الزهد والعلم والمكاشفة والكرامة[12]، أما "الولي" فصار يشير إلى كل موالي للفقراء على طريقة صوفية معينة وذي ثقافة دينية مرضية ومندمج في المجتمع، بينما ارتبط مصطلح "المرابط" بوظيفة الرباط أي الحراسة والعبادة والذي عاد إلى الساحة الدينية في القرن (8هـ – 14م) في ظل متغيرات متعلقة باختلال التوازن في القوة البحرية لصالح النصارى.[13]

كما أن ظاهرة الولاية كانت بارزة في هذا العصر، وإن الناظر في طبيعة العلاقة بين الفكر الولائي بالتصوف بمجتمع المغرب الأوسط لا يكاد يجد فاصل بينهما، ويلاحظ ذلك الوثيق بينهما، وكأن كل وليّ لله لا بدّ وأنه أخذ مسلك هذا التيار[14]، فالتصوف عند القوم هو الطريق الوحيد للولاية، وفي رأينا أن الإجابة عن هذا هو طرف الخيط في الوصول إلى معرفة سبب الاعتقاد الأعمى في أولياء الله تعالى بالمغرب الأوسط

تشير الباحثة نللي سلامة العامري: أنه "لا وجود لولي بغياب مجتمع يعاين ولايته من خلال عددٍ من الآيات، ويعترف بها أي يضفي عليها صفة المشروعية، نظرا لمطابقتها لنمط ولائي يعهده وسبق اعترافه به".[15]

تبدو هذه المسألة في غاية الأهمية، وهي تعكس تكامل أفراد المجتمع في اعتقادهم بمقام الولي، إذ هنا تتحقق نظرية السببية في تكامل الولي والمجتمع، فالناس يحبون أن يكون معهم ولي لله في أرضهم يرتاحون إليه، ويتفاخرون له على بقية المناطق.

لقد استطاع الأولياء من المتصوفة بفضل كرماتهم توجيه ولاء المجتمع إليهم، وفي أول وهلة يتبادر إلينا في حديثنا هذا أن كاريزما الولي هي الدافع وراء توجيه ولاء مجموعة ما.

في حقيقة الأمر أن مثل هذا الولاء صنعته أو وجهته عدّة أمور أولها الصفة الكاريزمية الخوارقية التي ميزت أولياء الله عن باقي المجتمع، فقد حامت حولهم من القصص مالا يُصدق ولا يجوز في العقل، كأن يُقال إن محمد بن عمر الهواري كانت الوحوش والسباع تأتيه لقضاء أوطارها فتقضى[16] وأنه جنيد أقرانه[17] تمييزا له عن غيره، زيادة على أنه كان لبعض الأولياء في كل ناحية مسجد ومعلم[18] كأبي زكريا الزواوي[19] الأمر الذي كان شبيها بأساليب الدعاية في صناعة المكانة وربط المجتمع بشخص الولي.

ولا يخفى على الباحث اليوم التوزيع الجغرافي للأولياء بالمغرب الأوسط مثلاً، وما تميزت به حواضر ومدن هذا الاقليم في الفترة المتأخرة من العصر الوسيط على غرار كثير من مدن المغرب الإسلامي، فإننا نجدها تُنسب لقطب من أقطاب الأولياء الصالحين الذين كان لهم تأثير قوي من خلال أدوارهم الطلائعية في المجتمع، فحاضرة تلمسان شكلت مدينة الأولياء والصالحين، وأبرزهم القطب الرباني سيدي بومدين الغوث ولالة ستي، ومدينة وهران كانت تعرف على الدوام ب مدينة سيدي الهواري وبجاية مدينة يما قوراية، وسطيف مدينة سيدي الخير، وقسنطينة مدينة سيدي راشد، وعنابة مدينة البوني، وجزائر بني مزغنة عرفة مدينة الفقيه والولي الصالح سيدي عبد الرحمن، ومدينة مليانة اشتهرت بالعالم الرباني سيدي أحمد بن يوسف الملياني، وهكذا كان لكل مدينة من مدن هذا البلد ولي صالح تعرف به.

وبالرجوع إلى كتب المناقب والتراجم نجدها قد وفرت لنا صوراً بديعةً عن كثير من القامات العلمية والصوفية ممن برز في زمن الولي الصالح محمد بن عمر الهواري، وهي تشكل في مجملها معلماً حقيقياً ارتقى فيه هؤلاء العلماء إلى درجات سامية.

أبو عبد الله ابن مرزوق الحفيد:

هو شيخ الإسلام محمد بن الشيخ الفقيه أبي العباس أحمد بن الإمام العلامة الفقيه المحدث الكبير الخطيب محمد شمس الدين بن الشيخ العالم الوالي الصالح أبي العباس أحمد بن الفقيه الولي الصالح الخاشع محمد بن الوالي الكبير ذي الأحوال الصالحة والكرامات محمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المالكي، يُكنى أبا عبد الله، رغم أنه ليس من أولاده من اسمه عبد الله، فابن مرزوق له ولدان: محمد وحفصة، ولكن يبدو أنه كان يحب هذه الكنية؛ لأنها كنية إمام مذهبه الإمام مالك بن أنس.[20]

ولد ابن مرزوق الحفيد كما ذكره في شرحه على "البردة" ليلة الاثنين رابع عشر ربيع الأول عام ستة وستين وسبعمائة (766هـ/1364م)[21] وتوفي بالقاهرة سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة (842هـ/1439م). [22]

بذل ابن مرزوق جانباً كبيراً من جهده العلمي في ميدان التآليف، أثمر العديد من الكتب الجليلة، ومن أشهرها نذكر[23]:

"اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة": وهو أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت عليه من علامة قفصة أبي يحيى بن عقبة فأجابه عنها.

رسالة "المعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج " في كراسة ونصف: أجاب به أبا القاسم بن سراج الغرناطي عن مسائل نحوية ومنطقية.

"النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل الناقص": في سبعة كراريس ردّ به على عصريه الإمام أبي الفضل قاسم العقباني في فتواه في مسألة الفقراء الصوفية لما صوب العقباني صنيعهم وخالفه هو.

وغيرها كثير، فابن مرزوق الحفيد يعد واحدا من الأئمة المكثرين من التأليف، وهذا ليس بغريب على عالمٍ تصدّر الإفتاء ووصف بأنه "...آخر السادات الأعلام ذوي الرسوخ الكرام بدر التمام الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة بأوفر محصول شيخ الشيوخ وآخر النظار الفحول صاحب التحقيقات البديعة والاختراعات الأنيقة والأبحاث الغريبة والفوائد الغزيرة المتفق على عمله..."[24].

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحي المشهور "بالحبّاك":

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي يحيى المعروف بالحبّاك، فقيه مالكي اشتغل بالفرائض، ولد وعاش بتلمسان في القرن التاسع الهجري (15م)، تاريخ ولادته مجهول، فلكي له اهتمام بالإسطرلاب والحساب والهندسة.

وصفه الإمام السنوسي بالشيخ الفقيه العلامة المشارك المحقق المعدل، كان شيخ الحسابيين الفرضيين والفلكيين لمدة طويلة في بلاد المغرب الإسلامي، ووصفه الإمام أبي عبد الله محمد بن عباس بالناظم الفقيه العالم المتفنن الدارك المحصل المتقي، قال عنه ابن مريم: بأنه "الشيخ الفقيه العالم العلامة الأجل الصالح العادل الفرضي العددي"[25]، وذكر أنه كان أحد شيوخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي[26]، ووضح السنوسي أن الحباك لم يكن أول من ألف في الإسطرلاب ولكن كان كتابه أفضل رسالة قرأها في الموضوع، وهي بعنوان "بغية الطلاب في علم الإسطرلاب" وهي في نظر المتأخرين أليفة هذا العلم التي عليها يعتمدون ويجعلون عليها الشروح والتعليق ويلجئون إليها في التدريس، كما ألف الحباك شرحاً لتلخيص ابن البناء، وكتب في الأشكال الهندسية مؤلفاً عنونه "نيل المطلوب في العمل بربع المجيب" تناول فيه معرفة الجيب وجيب التمام، والسهم، والقوس، والوتر، واستخراج أحدهما من الآخر، والقطر وغيرها من المسائل التي لها علاقة بالارتفاع، والدوائر، والأوقات، وحركة الأفلاك.

ذكر الونشريسي أنه توفي (رحمه الله) عام (867هـ/1463م).[27]

عبد الرحمان الثعالبي الجزائري (786 أو 787هـ/875هـ)

هو سلطان الأولياء أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي (6 -787-875هـ) فقيه وصّوفي من أهل الورع والتقوى، من أهم مؤلفاته: الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز، وقطب العارفين ومقامات الأبرار، والصديقين في التّصوّف.[28]

يقول في معرض حديثه عن طلبه للعلم :"...ثم رحلت للمشرق وسمعت البخاري بمصر على البلالي[29]وكثيرا من اختصار الإحياء له".[30]

فمن خلال دراسة أثار الثعالبي يتبادر للدارس أن المدرسة الأولى التي يكون قد تأثر بها الثعالبي هي المدرسة الغزالية، ذلك أن أثارها واضحة في إنتاجه الفكري.

وحقيقة هذه الصورة تأتي من وجوه عديدة نذكر منها[31]:

أن الثعالبي قد جاء في عصر انتشرت فيه النزعة الغزالية في التّصوّف فكانت تيارا فرض نفسه على كثير من العلماء.

الشبه الواضح بين الطريقة التي سلكها الثعالبي وبين النزعة الغزالة في التأليف وفي الأفكار والمواقف.

اتفاق نوعية الإنتاج لدى كل من الغزالي والثعالبي، فقد أنتج الأول أرفع إنتاجه إحياء علوم الدِّين، وحذا الثعالبي حذو الغزالي فألف العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة وكتاب التقاط الدرر التي يكاد يكون صورة طبق الأصل لكتاب الإحياء وكتاب حقائق في التّصوّف وغيرها.

كما استوحى الثعالبي عناوين كتبه من عناوين كتب الغزالي نفسها "فالجواهر الحسان في تفسير القرآن" مستوحى من "جواهر القرآن" عند الغزالي و"العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة"، مستوحى من "الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة" و"الأنوار المضيئة الجامعة بين الشريعة والحقيقة" من "مشكاة الأنوار".[32]

ويتضح من هذه المقاربة أن الغزالي شكل القدوة المثلى للثعالبي الذي تأسي به واتبع مسلكه في التّصوّف .

محمد بن يوسف السنوسي: (ت 895هـ/1490م):

هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السنوسي الحسني من كبار علماء تلمسان (830 أو 832-895هـ/1490م)، أخذ عن الثعالبي والقلصادي وابن مرزوق الحفيد وغيرهم، وأخذ عنه ابن الحاج والملالي وابن أبي مدين وغيرهم.

خلَّف السنوسي تصانيف جليلة تنبئ عن مشاركة واسعة في العلوم، كيف لا؟ وهو صاحب العقائد المشْهورة، فقد انفرد بمعرفة علم التوحيد، له العديد من المؤلفات: "العقائد المشهورة الكبرى والصغرى" وشروح عليها، "شرح عقيدة الحوضي"، و"شرح الأسماء الحسنى"، و"شرح على قصيدة الجزائري"، وكتب في المنطق منها في الإسطرلاب وشرح إيساغوجي، وشرح كتاب البقاعي ومختصره، وفي التَّصوّف شرح الإمام الألبيري، وله في علم الحديث شروح على بعض المسائل في الصّحاح[33]، وله في علوم القرآن كتاب: "تفسير القرآن الكريم" ويبدو أنه لم يكمله كما قال أغلب مَن ترجم لـه، وقال ابن مريم: "كتب منه ثلاثة كراريس في القالب الكبير، إلى قوله تعالى: ﴿ أولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[34] وأراد التفرُّغ له فما تمكَّن"[35]، وله أيضًا كتاب آخر في التفسير بعنوان: "تفسير سورة ص وما بعدها"، أمَّا القراءات والضَّبط فله "شرح الشَّاطبية[36] الكبرى"، وكتاب آخر في القراءات "مختصر في القراءات السَّبع".[37]

الفقيه الصوفي أحمد بن إدريس الأيلولي (ت 760هـ /1460م):

كان ورعا زاهدا جليلا إماما علامة بارعا، حلاه ابن فرحون ب "واحِدَ قُطْره في حفظ مذهب مالك، متفننا في المعارف والعلوم، جمع بين العلم الغزير، والدين المتين"[38]، وتخرج بين يديه جماعة من الفضلاء الأئمة، كالإمام عبد الرحمان الوغليسي (ت 784هـ/1386م)، وعبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1408م) والولي الصالح محمد بن عمر الوهراني (ت 843هـ/1442م)، وغيرهم من أعلام القرن التاسع الهجري (9هـ).

كان يطلق عليه فارش السجاد، لكثرة صلاته، وكان كثير الصوم، والصدقة، أعماله كلها سرا، وكان على طريقة السلف الصالح في الاتباع، كثير التواضع، جميل العشرة، صبورا على الأشغال،

حسن التعليم، وله تعليق على "بيوع الآجال" من مختصر ابن الحاجب، كانت وفاته بعد الستين وسبعمائة.[39]

عبد الرحمن الوغليسي (ت 786هـ – 1384م)

هو الفقيه الصوفي الذي جمع بين علم الشريعة والتصوف الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي نسبه إلى بني وغليس جنوب بجاية ومن مصنف يتيم بعنوان "الأحكام الفقهية على مذهب مالك" أو ما عرف "بالمقدمة الفقهية" أو "بالوغليسية" نسبة إليه.[40]

ورغم قلت المعلومات التي قدمها لنا أصحاب كتب التراجم والمناقب عن هذا الفقيه الصوفي، إلا أن ارتباط في طلب العلم على شيخه الفقيه الصوفي أحمد بن إدريس الأيلولي (ت 760هـ /1460م)[41] وانتشار فتاويه في كتب النوازل مثل كتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" لمحمد بن أبي عمران المغيلي المازوني (ت 833هـ – 1478م) وكتاب "المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب" لأبي العباس أحمد الونشريسي (ت 914هـ – 1511م)، جعله ذائع الصيت.[42]

وصفه معاصره ابن قنفد القسنطيني (ت 810هـ/1407م) "بالفقيه الصالح المفتي"[43] كما حلاه أحمد بابا التنبكتي "بالفقيه العالم الصالح"[44] وخصه عبد الكريم الزواوي في مقدمة شرحه للوغليسية "بالصالح الورع" وابن صعد عبد الله محمد الأندلسي "بالإمام".[45]

كان للوغليسي من خلال "المقدمة الفقهية" مسعى توفيقيّا بين الفقه والتّصوّف، فكان حريص على جعل من التّصوّف علما من علوم الدِّين إلى جانب الفقه، له رجاله ومجاله ووسائله وغاياته واعتبره رافدا أساسيا من روافد المعرفة الدِّينية، منبعه القلب وسبيله الذّوق والكشف.

أحمد بن يوسف الملياني

هو الشيخ الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف العالم المحصل السالك الناسك المقرئ بالقراءة السبعية المحقق الحجة أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي نسبا ودارا الملياني.

وُلد الشّيخ أحمد بن يوسف الراشدي المليانى سنة 840هـ - 1437م، وقيل سنة 836هـ، من قلعة بني راشد، قرب تلمسان، من خرجي مدرسة تلمسان الفكرية، والمتمثلة في مدرسة محمد بن يوسف السنوسي.46

كانت بداية أمره في مساجد "رأس الماء" حيث انتقل إليه صغيرًا، كما أخذ عن علماء تلمسان ووهران، ثمّ انتقل إلى بجاية حيث تتلمذ على الشّيخ أحمد زروق[47]، وأخذ عنه عهد الطّريقة الشاذلية، وسلك على يديه. تذكر بعض المصادر أنّه ساح في الأرض لمدّة تزيد عن 15 سنة بفاس وتلمسان وتاهرت وفجيج، ثمّ انتقل إلى الزاب وبلاد الجريد والقيروان وطرابلس والإسكندرية والقاهرة وجدّة، وحجّ وأقام بمكّة، ومنها انتقل إلى المدينة المنورة حيث أقام هناك سنة كاملة.

وبعد الرحلة العلمية والسياحة والروحية التي سلكها، عاد الشيخ إلى بلاده ينشر العلم والطريقة معا، فأسس زاويته بمنطقة "رأس الماء" بواد الشلف، يدرس ويربي، وقد داع صيته، وعرفة طريقته "اليوسفية"، في مختلف ربوع المغرب الإسلامي.

كان رحمه الله من أعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين أحد أوتاد المغرب وأركان هذا الشأن كان ممن جمع بين الحقيقة والشريعة، وانتهت إليه رئاسة السالكين وتربية المريدين بالبلاد الراشدية والمغرب بأسره واجتمع عنده جماعة من كبار المشايخ من العلماء والصالحين من تلامذته.

وقد ذكر أبو القاسم محمد الحفناوي أنه طلب من الله تحقيق ثلاثة أمور له وهي: العلم بدون مشقة، فأعطاه علم الظاهر والباطن، والسمو إلى ما فوق مبلغ الرجال، فكان له ما أراد، ورؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام، فرآه في اليقظة، وقد تحقق له ما أراد في ليلة واحدة" كما ذكر له هذا المؤلف أيضا، قولا مشهورا له سار بذكره المريدون مفاده أن: "جميع من أكل معي أو شرب أو جالسني أو نظر في، لا أسلم فيه يوم القيامة".[48]

وكان الشيخ أحمد بن يوسف المليانى يستحضر في أقواله قول ابن عمر الهواري لأحد تلاميذه: "لا تخف من النار فإن صاحبي أدخله في بطني كي لا تراه النار" فقال المليانى:"إن البطن تلقي ما دخلها وتطرحه، وأنا أدخل صاحبي في قلبي كي لا تمسه النار"[49]، كما حكي أن بعض

أصحاب المليانى قال له:"إن سيدي عبد الرحمن الثعالبي قال: "من رأى من رآني لا تأكله النار إلى سبعة"، فقال أحمد بن يوسف: "كذلك من رأى من رآني إلى عشرة".[50]

ومن علماء المغرب الأقصى زمن الشيخ محمد بن عمر الهواري نذكر منهم:

الفقيه القباب (ت777هـ/1375م):

هو الفقيه الإمام الحافظ، القاضي الخطيب، أبو العباس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجُذَامي الفاسي، الشهير بالقَبّاب.

ولد بفاس عام (724هـ/ 1323م)، أخذ عن أعلام شيوخ الوقت بالمغرب والمشرق، من هؤلاء: الإمام الفقيه المحدث أبو الحسن علي بن محمد ابن فرحون اليَعْمُري، التونسي، المدني (ت746هـ)، والفقيه العلامة أبو فارس عبد العزيز بن محمد القَروي(ت750هـ)، وحافظ المغرب أبو عبد الله محمد بن سليمان السّطي (ت750هـ)، والإمام العلامة المعقولي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله الآبلي (ت757هـ)، والعالم الزاهد أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر الأنصاري (ت765هـ)، والإمام الحافظ العلامة أبو عمران موسى بن محمد بن المعطي العَبْدوسي(ت776هـ)، وغيرهم كثير.

ونظرا لما عرف عنه من علم قصده للنهل من معين علومه العديد من العلماء من جملتهم: الإمام الأصولي المحقّق، الفقيه المجتهد المتفنّن أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي، صاحب كتاب الموافقات (ت790هـ)، والإمام العلامة الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني الحسني (ت792هـ)، والفقيه الصوفي، أبو زكريا يحيى بن أحمد بن محمد، الشهير بالسَّرَّاج (ت805هـ)، والعلامة الفقيه، المحدث الأديب المشارك الرُّحلة أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب القُسَنْطِيني، الشهير بابن قُنْفُذ(ت809هـ) ومن ضمنهم الفقيه الصالح الولي الصالح محمد بن عمر الهواري (ت 843هـ/1442م).[51]

ومما يدل على مكانة القباب بين علماء عصره، شهادة كبار أهل العلم له بالفضل، فقد حلّاه أبو عبد الله الحضرمي بقوله: "العالم العامل، ذو العقل الكامل، والطبع الفاضل، التائب

التقي، والفقيه المفتي...، ممن يعرف بالفضل والدين، ويعد في العلماء العاملين، تاب فحسنت توبته واستبانت فضيلته...، وسيرته الآن سيرة أهل الفضل من أكابر من تقدمه على الدؤوب على قراءة العلم وإقرائه، واكتساب الطّيّب والتقشف، وترك متاع الدنيا والتواضع للخاص والعام، وخفض جناح الرحمة للضعفاء والمساكين"[52]، وحلّاه تلميذه ابن قنفذ بقوله: "شيخنا الفقيه المحقق الحافظ".[53] توفي القباب رحمه الله ليلة الأربعاء الخامس من ذي الحجة عام (ت778هـ/1375م).

الشيخ أبو العباس زرّوق[54]:

أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البُرْنُسِي الفاسي،الشهير بالشيخ زرُّوق، من قبيلة البرانس البربرية التي تعيش في منطقة جبل البرانس ما بين فاس وتازة، ولد بفاس عام (846هـ/1443م)[55]،حفظ القرآن وهو ذي العشر سنوات، ولما بدأ يشتد عوده، التحق بجامع القرويين طلبا للعلم حيث "...أتقن العلوم الشرعية وجلس للوعظ والإرشاد، وروى الحديث عن مجموعة من المشايخ منهم: الثعالبي، وإبراهيم التازي والسنهوري.[56]

سلك طريق التصوف ونهل من علومه على يدي الشيخ عبد الله المكي الشاذلي، وعن الشيخ محمد قاسم القوري (ت872هـ/1468م)، وهذا الأخير كان"... أبعدهم أثرا في روحه وفكره، وأحمد بن سعيد المكناسي(870هـ/1466م)، والشيخ محمد عبد الله الزيتوني (ت901هـ/1496م) ... والذي توغل في محبته واجتهد في خدمته ولازمه في حضره وسفره"[7]، وممن أخذ عنهم أيضا نذكر: "الشيخ أحمد السلوي، والعيدوسي... أما الحديث، فعن السخاوي (ت913هـ/1508م)، وأما الفقه، فعن النور السنهوري."[57]

اشتهر الشيخ أحمد زروق بكثرة رحلاته العلمية، والتي سعى من خلالها طلب العلم ونشره، فكانت أطولها الرحلة الحجازية التي دامت سبع سنين، قال الإمام السخاوي عنه: " ارتحل إلى الديار المصرية فحج وجاور بالمدينة، وأقام بالقاهرة نحو سنة...وقد تجرد وساح وورد القاهرة، أيضا بعد الثمانين، ثم تكرر دخوله إليها ولقيني بمكة في سنة أربع وتسعين."[58]

أخذ العلم عن كبار العلماء والفقهاء المغاربة والمشارقة أمثال: الشيخ الإمام عبد الرحمن الثعالبي، والولي ابراهيم التازي، والمشدالي، والشيخ حلولو، والسراج الصغير، والرصاع، وأحمد بن سعيد الحباك، والحافظ التنسي، والإمام السنوسي، وابن زكري، وأبو مهدى عيسى الماواسي، وأخذ بالشرق عن جماعة أيضا منهم: النور السنهوري، والحافظ الديمي، والحافظ السخاوي، وولي الله الشهاب الإبشيطي، والجوجري، وصحب القطب أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي والبدل أبي عبد الله محمد الزيتوني، وقد صحب من الشيوخ كما ذكر جماعة من المباركين لا تحصى كثرة بين فقيه وفقير. اشتغل بالتدريس خلال إقامته بفاس، فأثرى أهلها بثروته العلمية، وبتجاربه الروحية الصوفية، الممثلة في مؤلفات وشروح ومصنفات نفيسة، وعلى رأسها كتاب "قواعد التصوف".[59]

ومن مؤلفاته أيضا: "النصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدع بالسنة"، وكتاب: "عدة المريد الصادق"، "وحزب البركات"، وكتاب "الجامع لجمل من الفوائد والمنافع"، وديوان شعر، بالإضافة إلى "الوظيفة الزروقية"، كما له شروحات كثيرة منها: شرح "دلائل الخيرات" شرح "مختصر خليل"، و"شرح القرطبية"، و"شرح العقيدة القدسية" للغزالي وغيرها، إضافة لرسائل كثيرة احتوت على العديد من اللطائف والرقائق والنوادر الصوفية. توفي رحمة الله عليه عام (ت899هـ/1493م) بمدينة مصراته بليبيا، حيث دُفن هناك.

خاتمة:

كان الاهتمام بتراجم الأولياء ومناقيهم، قربة إلى الله تعالى، فهذا ابن مريم ينقل في بستانه عن السنوسي أن الكتابة عن أولياء الله إنما هو تحصيل لبركتهم[60]، ومن مظاهر هذا التقديس أن إبراهيم التازي كان يتبرك بقراءة كتاب شيخه الهواري المسمى بـ"السهو والتنبيه"[61] وغير ذلك من الأمثلة.

لا شك أن المصادر التي بين أيدينا لا تسعفنا للإلمام بقامة من قامات التصوف والولاية في وزن الشيخ الصوفي محمد بن عمر الهواري، والتي لا تتناسب في معطياتها مع صيته، ونتشار ذكره،

وتأثيره الواسع على المتصوفة. فهي لا تكاد تمكننا في الوصول إلى معرفة عامة حول نشأته ورحلاته ومنهجه في التدريس وفي تربيته لمريديه، ومساهمته في الحياة الاجتماعية والثقافية والروحية.[62]

وحاولنا من خلال تراجم بعض من متصوفة وأعلام زمانه لفهم روح العصر الذي عايشه هذا الصوفي، لأن أحداث الزمن وأحواله تلقي –دون شك– أضواء على مكونات فكره والاحاطة بالظروف التي عاش في ظلها، ليعرف القارئ إلى أي حد تأثر الشيخ الهواري بعصره وأثر فيه.

الهوامش

1– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1978م: ص ص346-.349

2– ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011م، ص227، ينظر كذلك: فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، مؤسسة موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 1423هـ/2002م.، ج2/ ص .321

3– عبد العزيز فلالي، المرجع نفسه، ج2/ ص .324

4– الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، (لانا): ص 93.

5– تشير المصادر التاريخية على أن الزاوية عُرفت في أوائل القرن الثمن للهجرة (14م)، وقد كانت تطلق على مكان معدّ للعبادة، ويشتمل على مرافق لطلبة العلم المجاورين بها. ينظر: المهدي البوعبدلي، "الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى"، الأصالة، العدد 14، مارس – أبريل 1973، ص .26

6– علي بن شريف عبد الإله، مرجعيات مفردات الطرق الصوفية في منطقة تلمسان: دراسة معجمية ودلالية، ماجستير في علم اللهجات، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2003 – 2004، ص .76

7- يظهر ذلك جليا منذ أواخر العصر الوسيط، وهو العصر الذي نعته الكثير من المستشرقين بعصر الانحطاط أو ما يسميه مالك بن نبي بمرحلة ما بعد الموحدين، ونجد عبد الحميد حاجيات يرى أن عصر ما بعد الموحدي لم يكن عصر تخلف ثقافي وأن المستشرقين ومن سار على منوالهم تسرعوا في الحكم على الإنتاج الثقافي حيث ربطوه بالانحطاط السياسي فقالوا أنه كان انحطاطا ثقافيا، فهو يرى أن الثقافة كانت مزدهرة خلال القرن الثامن والتاسع للهجرة (14-15م). ينظر: عبد الحميد حاجيات، "الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي"، الثقافة، العدد 114، 1997، ص ص 19 – 20؛ رشيد خالدي، دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 07 و 08 هـ/ 13 و 14 م، ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010 – 2011، ص 110.

8- نيللي سلامة العامري، المرجع السابق، ص .303

9- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، 1983م: ج 6، ص 804 وما بعدها.

10- عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، ط1، مكتبة مدبولي، 2003م، ص 780 وما بعدها.

11- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون، ت808هـ) شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح: الدكتور محمد الحافظ، دار الفكر دمشق، بالاشتراك مع دار الفكر المعاصرة، بيروت 1417هـ/1996م، ص44 وما بعدها.

12- عن الكرامة، ينظر: الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، إخراج محمد حجي وآخرون، مطبوعات دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981م، ج 02، ص 388، يحي بن خلدون، بغية الرواد، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر 1980م: ص50 وما بعدها، ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص 22

13- إبراهيم بن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة قداح الأدب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والترب، تحقيق محمد بن شقرون، الرباط، (د. ت): ص 95.

14- في هذا المعنى قال الجنيد بن محمد، "الإيمان بطريقنا هذا – يعني طريق التصوف – ولاية". ينظر: عوارف المعارف...؛ نوال بنت عبد السلام بن إدريس فلاته، الجنيد بن محمد وأراؤه العقدية والصوفية، ماجستير في العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1492، ص 271. وأما عن العلماء المغاربة ففي رسالة أبي عبد الله محمد بن عبّاد النفري إلى أبي إسحاق الشاطبي عن أهل التصوف رغم اعترافه أنه ليس منهم ولم يعرف من مذهبهم إلا ما طالعه من خلال بعض كتبهم قال واصفا: "...لأنهم عباد الله المخصوصون بالقرب والولاية له". ينظر: أبو العباس الونشريسي، المعيار، ج12، ص293.

15- نللي سلامة العامري، المرجع السابق، ص 17.

16- الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، ط 01، 2007م: ج 01، ص 70.

17- التنبكتي، أحمد بابا (ت1036هـ/1626م)، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تحقيق عليّ عمر، ط1- منشورات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1423هـ/2004م، ج2، 193.

18- أبو العباس الغبريني، المصدر السابق: ص 62.

19- أبو زكريا يحي بن أبي علي المعروف بالزواوي، من أهل أمسيون خارج مدينة بجاية به توفى بعد صلاة العصر من يوم الجمعة منتصف رمضان 611هـ. التادلي، التشوف: ص428. الغبريني، عنوان الدراية: ص 62.

20- في ترجمة ابن مرزوق الحفيد يرجع إلى المصادر الآتية: بدر الدين القرافي، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: أحمد الشتيوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1403هـ- 1983م، ص171، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار

الجيل، بيروت- لبنان، دط، 1414هـ- 1993م، ج3 ص 362، السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط1، 1412هـ- 1992م.: ج7 ص 50، المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، (دط)، 1408هـ1988-م؛ ج5 ص 420، أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1402هـ- 1982م: ج1 ص 128، محمد بن مخلوف، شجرة النور الزَّكيَّة في طبقات المالكيَّة، دار الفكر، (د.ط)، ص252.

21- المقري، نفح الطيب، ج5، ص .430

22- ابن مريم، البستان، ص .338

23- حول مؤلفاته ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص180-181- التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 2000م، ص ص 144-146- ابن مريم، البستان، ص ص341-.342

24- التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص172- التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص ص 137-138- ابن مريم، البستان: ص 331.

25- ابن مريم، البستان: ص ص.351

26- المصدر نفسه والصفحة.

27- ينظر مصادر ترجمته في: ابن مريم، البستان، ص ص351-352، التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص226، كفاية المحتاج، ج2، ص179، الونشريسي، وفيات الونشريسي، ص101، نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص ص 190-120، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 109 وما بعدها.

28- ينظر في ترجمة: نيل الابتهاج، ص257 الحفناوي، المصدر نفسه، 67/1 – مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان (لاتا)، ص 926/264 –

الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص 131- كحالة، معجم المؤلفين، 192/5 - حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 163.

29- أبو عبد الله محمد البلالي المصري، محدث فقيه وصّوفي، شافعي المذهب، (ت 820 هـ) ينظر: ابن العماد، شدرات الذهب، ج7، ص147.

30- التنبكتي، نيل الابتهاج: ص257.

31- ينظر عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمان الثعالبي والتّصوّف: بنظر على سبيل المثال الصفحات التالية: ص24-ص35-ص56 وص118-119-ص 124 -125 وص130.

32- المرجع نفسه والصفحة.

33- ينظر في ترجمته التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص251-260، القرافي، توشيح الديباج، ص252- عبد الله الملالي، كتاب المواهب القدسية في المناقب السنوسية، خزانة محمودي البشير، ولاية معسكر، الجزائر، ورقة رقم 82-128، فهرس الفهارس، ج2، ص999، ابن مريم، البستان، ص ص374-389.

34- الآيات التي ورد فيها قوله تعالى ﴿أولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿5البقرة﴾

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿104آل عمران﴾

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿8الأعراف﴾

وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿157الأعراف﴾

وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿88التوبة﴾

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿102المؤمنون﴾

أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿51النور﴾

ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿38الروم﴾

أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿5لقمان﴾

وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿9الحشر﴾

وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿16التغابن﴾

35- ابن مريم، البستان: ص .387

36- الشاطبيَّة، هي قصيدة لامية من البحر الطويل في القراءات السبع للإمام القاسم بن فيرُّه بن خلف أبوالقاسم الرعينى الشاطبي الضرير (538-590هـ)، وتسمى "حرز الأماني ووجه التهاني" نظم فيها كتاب "التيسير" لأبي عمرو الداني في 1173 بيتا من الشعر وزاد عليه زيادات. ينظر الإمام الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية: بيروت– لبنان، ص ص 212 – 213، ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ج1، ص 216.

37- البستان، المصدر السابق: ص ص 385-.388

38- بن فرحون، الديباج المذهب، ص 138،

39- ينظر ترجمته: ابن فرحون، الديباج المذهب: ص138، التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص ص 96-.97

40- التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص .270

41- ابن فرحون، الديباج المذهب، ص .138

42- ينظر، أبو العباس أحمد الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، إخراج محمد حجي وآخرون، مطبوعات دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981م، ج 2، ص ص 385 – 386.

43- ابن قنفذ، كتاب الوفيات، تح: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان 1982م، ص 376.

44- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص .270

45- ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحي بوعزيز، ط1، منشورات (ANEP)، الجزائر 2002م، ص .51

46- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، 495 وما بعدها.

47- المرجع نفسه: ج1، ص .496

48- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط1، مؤسسة الرسالة، سوريا، 1982م، ص103.

49- الآغا بن عودة المزاري، المرجع السابق، ج 01، ص 72. رغم أن أحمد بن يوسف الملياني متأخر عن الفترة المدروسة من قِبَلنا.

50- مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص ص 302-.303

51- ابن فرحون (إبراهيم بن نور الدين، ت 719هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان دار الكتب العلمية، بيروت لبنان-ط1 -1417هـ /1997م، ص105، عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2- مكتبة المدرسة ودار الكتب اللبنانية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1961م، ص .205

52- الحضرمي، السلسل العذب والمنهل الأحلى، تح: محمد القاسي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد:10-الجزء :1-2، 1964م، القاهرة، ص 92.

53- ابن قنفذ، كتاب الوفيات، ص .372

54- ينظر مصادر ترجمته في: التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1/ص138 وما بعدها، القرافي، توشيح الديباج: ص ص 38-39، ابن مريم، البستان: ص ص108-116، السخاوي، والضوء اللامع، ج1/ص 184، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص128، الكتاني، وسلوة الأنفاس، ج3/ص 225، علي فهمي خشيم، أحمد زروق والزروقية دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة ل دار المدار الإسلامي الطبعة الثالثة 2002م.

55- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، عبد الله كنون، رتب تراجمه، محمد بن عزوز، ط1- دار ابن حزم، لبنان، 2010م، 541/1.

56- أحمد درنيفة، الطريقة الشاذلية وأعلامها، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان 2009م: ص ص 88-89.

57- معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا 2005م، م 14/ص4628.

58- عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق، أحمد فريد المزيدي، ط1- دار الكتب العلمية، لبنان 2008م، ج2/ 60-61.

59- السخاوي، الضوء اللامع، ج1/ص 185.

60- معلمة المغرب: م14/ 4629.

61- يقول ابن مريم نقلا عن السنوسي ما نصه:"...لأن الصالحين إذا ذكروا نزلت الرحمة، وفيه عدة لكم وأوثق عروة وأقرب وسيلة في الدارين، لأنه إذا كان مجرد حب الأولياء ولاية، وثبت أن المرء مع من أحب، فكيف بمن زاد على مجرد المحبة بموالاة أولياء الله تعالى وعلمائه وخدمتهم ظاهرا وباطنا بتسطير أحوالهم ونشر محاسنهم...". ينظر: ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص ص 33 – 34.

62- المهدي بن شهرة، المرجع السابق، ص 81، وقد ساهم هؤلاء الأولياء في نشر مثل هذه الأفكار، فالهواري على سبيل المثال قال في السهو والتنبيه أنه يضمن لمن يقرأ كتابه هذا: "أن لا يجوع ولا يعرى ولا يعطش وأنه ضامنه في الدنيا والآخرة" ينظر: نفس المرجع، ص 81.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

الملالي عبد الله، كتاب المواهب القدسية في المناقب السنوسية، خزانة محمودي البشير، ولاية معسكر، الجزائر: ورقة رقم 82-128.

ابن الجزري،غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان (د. تا)

ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت- لبنان، دط، 1414هـ- 1993م.

ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون، ت 808هـ) شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح: الدكتور محمد الحافظ، دار الفكر دمشق، بالاشتراك مع دار الفكر المعاصرة، بيروت 1417هـ/1996م: ص44 وما بعدها.

ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون، ت 808هـ)، تاريخ ابن خلدون المسمَّى: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر 1958م، وطبعة منشورات محمد عليّ بيضون، ط2- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1424هـ/2003م.

ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، 1983م: ج 6، ص 804 وما بعدها.

ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح: الدكتور محمد الحافظ، دار الفكر دمشق، بالاشتراك مع دار الفكر المعاصرة، بيروت 1417هـ/1996م.

ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحي بوعزيز، ط1، منشورات (ANEP)، الجزائر 2002م.

ابن فرحون (إبراهيم بن نور الدين، ت 719هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان دار الكتب العلمية، بيروت لبنان-ط1 –1417هـ /1996م.

ابن قنفذ، كتاب الوفيات، تح: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان 1982م.

ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، دراسة وتحقيق عبد القادر بوبائه، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011م.

بن عربي محيي الدين، كتاب القربة (ضمن: رسائل بن عربي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1361هـ.

التنبكتي، أحمد بابا (ت1036هـ/1626م)، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تحقيق عليّ عمر، ط1- منشورات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1423هـ/2004م.: ج2، ص 193.

التنبكتي، أحمد بابا (ت1036هـ/1626م)، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تحقيق عليّ عمر، ط1- منشورات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1423هـ/2004م.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي الشافعي (ت 902هـ/1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط1، 1412هـ- 1992م.

الغبريني، أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981م.

القرافي بدر الدين، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: أحمد الشتيوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1403هـ- 1983م.

المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، (دط)، 1408هـ1988-م.

المناوي عبد الرؤوف، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط1- دار الكتب العلمية، لبنان 2008م.

النميري إبراهيم بن الحاج، فيض العباب وإفاضة قداح الأدب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والترب، تحقيق محمد بن شقرون، الرباط، (د. ت).

المراجع

الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق: يحي بوعزيز، ط 1، دار البصائر، الجزائر، 2007م.

حجي محمد، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، (دط)، 1417هـ- 1996م .

الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1402هـ- 1982م.

خشيم علي فهمي، أحمد زروق والزروقية دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة ل دار المدار الإسلامي الطبعة الثالثة 2002م.

دحماني محمد، حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف، ماجستير في الأدب الشعبي، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2005-2006م.

درنيفة أحمد، الطريقة الشاذلية وأعلامها، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان 2009م.

سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1978م.

الشاهدي الحسن، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، (لانا).

عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، رتب تراجمه: محمد بن عزوز، ط1- دار ابن حزم، لبنان، 2010م.

عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، ط1، مكتبة مدبولي، 2003م.

فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، مؤسسة موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 1423هـ/2002م.

كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1414هـ- 1993م.

مخلوف محمد، شجرة النور الزَّكيَّة في طبقات المالكيَّة، دار الفكر، (د.ط): ص252، يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1995م.

معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا 2005م: ص4628.

نيللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع، مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي، تقديم هشام جعيط، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس 2001م.

الرسائل الجامعية:

رشيد خالدي، دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 07 و 08 هـ/ 13 و 14 م، ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010 – 2011، ص 110 .

علي بن شريف عبد الإله، مرجعيات مفردات الطرق الصوفية في منطقة تلمسان: دراسة معجمية ودلالية، ماجستير في علم اللهجات، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2003 – 2004م.